# الباب الثاني والعشرون

# في الأمثال

## موقع الأمثال من الكلام :

من الأساليب القرآنية ، ضرب الأمثال، وذلك لتقريب المعنى، فقد جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥].

للعرب من أساليب وضروب الأمثال المعبرة عن كثرة الكلام ما جعلهم يعتنون بحفظها ويذكرون قائلها ، والمناسبة التي كانت السبب الباعث لضرب ذلك المثل، وكما قيل بالمثال يتضح الحال، وقد وردت أمثال كثيرة في القرآن الكريم، لتقريب المعنى، وأخذ العبرة، وقد حذا الرسول الكريم ﷺ إلى توضيح بعض المواقف تعريضاً لجلاء فكرة ما، أو تقريباً لبعض الأمور، وترغيباً لعمل الخير، أو تنفيراً للابتعاد عن الظلم وهكذا.

وقد أولع كثير من الخطباء والشعراء في العصر الجاهلي، وعبر العصور الإسلامية بضرب الأمثال، وقد اعتنى كثير من العلماء بجمع الأمثال، وصنفت كتب كثيرة، وما ذلك إلا لما لهذا الفن من الفوائد العظيمة على مستوى الطبقات.

ولعل كتاب مجمع الأمثال لأبي الفضل، أحمد بن محمد النيسابوري، المعروف بالميداني، من أجل الكتب التي صنفت في هذا الفن، وحسبه في ذلك شهادة معاصريه، على فضل السبق عليهم فضلاً على من جاء بعدهم.

وقد وصف الميداني هذا الفن بقوله: الحمد لله الذي بدأ خلق الإنسان من طين، وجعله ذا غور بعيد وشأو بطين، يستنبط الكامن من بديع صنعته بذكاء فطنته، ويستخرج الغامض من جليل فطرته بدقيق فكرته، غائصاً في بحر تصرفه على درر معان، أحسن من محسن معان (يقصد بلد في بادية الشام، تعتبر من أحسن البلدان)، وأبهج من نيل أمان في ظل صحة وأمان، مودعاً إياها أصداف ألفاظ، أخلب للقلوب من غمزات ألحاظ، وأسحر للعقول من فترات أجفان نواعس أيقاظ، ناظماً من محاسنها عقود أمثال يحكم أنها عديمة أشباه وأمثال تتحلّى بفرائدها صدور المحافل والمحاضر، وتتسلّى بشواردها قلوب البادي والحاضر، وتقيّد أوابدها في بطون الدفاتر والصحائف، وتطير نواهضها في رؤوس الشواهق وظهور التنائف.

فهي تواكب الرياح النكب في مدارج مهابها، وتزاحم الأراقم الرقش في مضائق مدابها، وتحوج الخطيب المصقع، والشاعر المفلق إلى إدماجها وإدراجها في أثناء متصرفاتها وأدراجها لاشتمالها على أساليب الحسن والجمال، واستيلائها في الجودة على أمد الكمال، وكفاها جلالة قدر، وفخامة فخر، أن كتاب الله عز وجل، وهو أشرف الكتب التي أنزلت على العجم والعرب، لم يقرَّ من وشاحها المفضل ترائب طواله ومضله، ولا من تاجها المرصع مفارق مجله ومفصله.

**الرسول وضرب الأمثال:**

وإن كلام نبيه ﷺ، وهو أفصح العرب لساناً، وأكملهم بياناً وأرجحهم في إيضاح القول ميزاناً، لم يخل في إيراده وإصداره، وتبشيره وإنذاره من مثل يحوز قصبة السبق في حلبة الإيجاز، ويستولي على أمد الحسن في صنعة الإعجاز.

وقد جاء في الشعر العربي الجاهلي كثير من الأمثال،فمن ذلك قول أمرىء القيس أمير شعراء الجاهلية في معلقته:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل